فـــرح النيـــل

للشاعر عبد العزيز عتيق
المدرس بمدرسة عباس للبنات

مِنْ حَنِينِ الرُّبَا، وَهَمْسِ الْجَدَاوِلْ وَخَيَالِ الضُّحَا، وَسِحْرِ الْأَصَائِلْ
مِنْ مَعَانِي الرَّبِيعِ، رَفَّتْ عَلَى الْعُشْـ ـبِ، وَنَامَتْ عَلَى ظِلَالِ الْخَمَائِلْ
مِنْ شَتِيتِ الزُّوَارِ حُسْنًا وَطِيبًا مِنْ نَدَى الْفَجْرِ فِي ثُغُورِ السَّنَابِلْ
مِنْ خُشُوعِ الصَّفْصَافِ يَجْثُو لَدَى النِّيـ ـلِ بِأَغْصَانِهِ الْمِطَاشِ النَّوَاهِلْ !
مِنْ صَلَاةِ الْفَلَّاحِ فِي جَانِبِ الْحَقْـ ـلِ الْمُوَشَّى بِسُنْدُسِيِّ الْغَلَائِلْ
مِنْ مُضَاءِ الشَّبَابِ. مِنْ حِكْمَةِ الشَّيـ ـبِ، وَمِنْ وَثْبَةِ الْجُدُودِ الْأَوَائِلْ
مِنْ لُبَابِ الْحَيَاةِ فِي مِصْرَ وَالشَّرْـ ـقِ، وَمِنْ سَطْوَةِ الْحُمَاةِ الْبَوَاسِلْ
مِنْ يَقِينِ الْمِصْرِيِّ بِالسَّبْقِ وَالْإِعْـ ـجَازِ فِي عَصْرِكَ الَّذِي لَا يُطَاوَلْ
صَاعِدَاتٌ لَكَ التَّهَانِي جَمِيلَا تٍ، كَوَجْهِ الْفَارُوقِ، رَمْزِ التَّفَاؤُلْ !

* * *

يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ، يَا أَمَلَ الشَّعْـ ـبِ، وَكَنْزًا مِنَ الْعُلَا وَالْفَضَائِلْ

وَقَفَ الشِّعْرُ عِنْدَ وَصْفِكَ مَسْحُو ... رَ بِنُورِ الْهُدَى ، وَلُطْفِ الشَّمَائِلْ

وَقَفَ الشِّعْرُ حَائِراً فِي مَعَانٍ ... فَوْقَ طَوْقِ النُّهَى ، وَذَرْعِ الْمَقَاوِلْ

مَهْرَجَانُ الْفَارُوقِ أَقْبَلَ عِيداً ... بِالْهَوَى عَامِرٌ ، وَبِالْيُمْنِ حَافِلْ

مَهْرَجَانُ الْفَارُوقِ مَوْسِمُ شِعْرٍ ... أَيْنَ مِنْهُ أَسْوَاقُهُ فِي الْقَبَائِلْ !

مَهْرَجَانُ الْفَارُوقِ أَلَّفَهُ اللَّـ ... ـهُ ، وَصَفَّاهُ مِنْ مَشُوبِ الدَّخَائِلْ

مَهْرَجَانُ الْفَارُوقِ ، مَعْنًى مِنَ التَّقْـ ... ـدِيرِ ، وَالْحُبِّ ، وَالْوَفَاءِ الشَّامِلْ

مَا رَأَيْنَا لَهُ مَشَابِهَ إِلاَّ ... مَهْرَجَانَ الْفَارُوقِ : فَهْوَ الْمَائِلْ

* * *

قُلْتُ لِلشِّعْرِ : أَيُّهَا الشِّعْرُ مَاذَا ... أَنْتَ فِي هَذِهِ الْمَبَاهِجِ قَائِلْ ؟

أَرَأَيْتَ الشُّمُوسَ تَنْزِلُ لَيْلاً ... فِي شِعَابِ الْوَادِي ، وَحَوْلَ الْمَنَازِلْ ؟

مَا تَقُولُ السَّمَاءُ عَنَّا إِذَا مَا ... أَبْصَرَتْ عُرْسَنَا ، وَتِلْكَ الْحَفَافِلْ ؟

فَسَمَا الشِّعْرُ ، ثُمَّ تَمْتَمَ بِالْوَحْـ ... ـيِ ، وَفِي صَوْتِهِ كَشَدْوِ الْبَلاَبِلْ :

لاَ تَسَلْنِي عَنِ الْمَشَاعِلِ ضَاءَتْ ... فَقُلُوبُ الْعِبَادِ هَذِي الْمَشَاعِلْ

فِي سَبِيلِ الْفَارُوقِ أَطْلَقَتِ النُّو ... رَ ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِي السَّلاَسِلْ !

وَخَيَالُ السَّمَاءِ يَحْلُمُ فِيمَنْ ... نَضَّرَ الْأَرْضَ هَكَذَا بِالْمَحَافِلْ !

* * *

قُلْتُ لِلشِّعْرِ : أَيُّهَا الشِّعْرُ مَاذَا ... أَنْتَ فِى هَذِهِ الْمَبَاهِجِ قَائِلْ ؟
أَرَأَيْتَ الْأَعْلَامَ تَخْفُقُ كَالطَّيْـ ... ـرِ وَتَبْدُو عَلَى الرُّبُوعِ الْأَوَاهِلْ ؟
أَرَأَيْتَ الْجُمُوعَ تَدْفُقُ كَالسَّيْـ ... ـلِ ، وَتَمْضِى فَمَا تُطِيقُ الْحَوَائِلْ ؟
فَسَهَا الشِّعْرُ ، ثُمَّ تَمْتَمَ بِالْوَحْـ ... ـىِ ، وَفِى صَوْتِهِ كَشَدْوِ الْبَلَابِلْ :
مَا إِخَالُ الْأَعْلَامَ فِى الْجَوِّ إِلَّا ... مُهَجَ الشَّعْبِ بِالْهَوَى تَتَمَايَلْ !
وَالْجُمُوعَ الْجَمَّاءَ مَاهِىَ إِلَّا ... مِنْ قُرَى الرِّيفِ ، وَالصَّعِيدِ رَسَائِلْ !

* * *

صَدَقَ الشِّعْرُ . لَيْسَ مَا كَانَ إِلَّا ... عَنْ هَوَى الشَّعْبِ لِلْمَلِيكِ دَلَائِلْ !

* * *

يَامَلِيكَ الْبِلَادِ ، يَا قِبْلَةَ الشَّرْـ ... ـقِ جَمِيعًا لَدَى الْقَضَايَا الْجَلَائِلْ
يَاشَبَابَ الْبِلَادِ بَعْدَ اكْتِهَالٍ ... وَمَلَاذَ الْعِبَادِ مِنْ كُلِّ غَائِلْ
يَاابْتِسَامَ الزَّمَانِ بَعْدَ عُبُوسٍ ... وَنُشَاطَ الْآمَالِ بَعْدَ التَّثَاقُلْ
يَافَخَارَ الْمِصْرِىِّ فِى كُلِّ وَادٍ ... يَاعَتَادَ الْمِصْرِىِّ فِيمَا يُحَاوِلْ
خَرَجَتْ أُمَّةٌ إِلَيْكَ وَشَعْبٌ ... لَيْسَ يَنْسَى صَنِيعَكُمْ وَالْجَمَائِلْ
خَرَجَتْ لِلْمَلِيكِ تُعْلِنُ جَهْرًا ... عَنْ مَدَى حُبِّهَا بِشَتَّى الْوَسَائِلْ

* * *

مِنْ حُقُولِ اللَّيْمُونِ ضَمَّخْتُ شِعْرِى ثُمَّ بَارَكْتُهُ بِمَاءِ الْجَدَوْلْ
وَبِسِحْرِ الشُّعَاعِ فَوْقَ الْمَرَاعِى وَوَقَارِ النَّخِيلِ بَيْنَ الظَّلَائِلْ
وَبِوَحْيِ النَّدَى وَسَجْعِ الشَّوَادِى وَنَسِيمِ الْمَاضِى ، وَجَوِّ الْهَيَاكِلْ
وَبِرَقْصِ الْمُنَى بِآفَاقِ لَحْنٍ عَانَقَتْ شَجْوَهُ لِطَافُ الْأَنَامِلْ
فَأَنَا الْآنَ لَا أُرَجِّعُ إِلَّا مَا تَحَمَّلْتُ مِنْ شَرِيفٍ وَعَامِلْ
مِنْ تَهَانِى الْبِلَادِ عَرْضًا وَطُولًا مِنْ مُقِيمٍ بِهَا ، وَمِنْ كُلِّ رَاحِلْ
مِنْ تَهَانِى الْفَلَاحِ مِنْ عَاهِلِ الْحَقْـ ـلِ ، عِمَادِ الْحِمَى وَرَبِّ الْفَوَاضِلْ
إِنْ يَكُنْ قَدْ قَسَا الْقَضَاءُ عَلَيْهِ وَمَشَى فِى حَيَاتِهِ بِالْمَعَاوِلْ
فَهُوَ يَرْجُو عَلَى يَدَيْكَ نَجَاةً مِنْ جُحُودِ الْمَاضِى ، وَلَيْلِ النَّوَازِلِ
وَحُمَادَاهُ فِى زَمَانِكَ عَهْدٌ بِالْمُنَى مُقْبِلٌ ، وَلِلْخَيْرِ وَاصِلْ !

***

يَا أَخَا الشَّعْبِ مَنْهَجًا وَنُزُوعًا وَسَنَى الشَّعْبِ فِى ضَبَابِ الْمَشَاكِلْ
حَبَّذَا أَنْتَ يَا مَلِيكِى وَعَصْرًا فِيهِ مِنْ وَجْهِكَ الْمُنِيرِ تَخَايِلْ
حَبَّذَا أَنْتَ لِلْخِلَافَةِ وَالْمُلْـ ـكِ ، وَلِلشَّرْقِ بَدْرُهُ الْمُتَكَامِلْ
فَلَقَدْ شِدْتَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِيـ ـثَارِ مَا لَمْ يَشِدْهُ أَكْبَرُ عَاهِلْ ؟

***

دُمْتَ مَوْلَاىَ ، يَا سُلَالَةَ مَجْدٍ كَرُمَتْ عُنْصُرًا ، وَطَابَتْ فَعَائِلْ !

عبد العزيز عتيق